

أضواء البيان

@ 254 .

فأنزل الله تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمُ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } . .

ومما هو صريح في قصدهم بالمداهنة والدافع عليها والجواب عليهم قد جاء موضحاً في قوله تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } ، ثم قال تعالى مبيناً موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه المحاولة بقوله : { فَأَعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ الْلَّهُ بِأَمْرِهِ } . . وقد جاء الله بأمره حكماً بينه وبينهم ، وهنا يمكن أن يقال : إن كل مداهنة في الدين مع المشركين تدخل في هذا الموضوع . .

وقد جاء بعد قوله تعالى : { وَلَا تَطِيعُ كُلِّ دَلَّافٍ مَّهِينٍ } إشارة إلى أنهم لا يطاعون في مداهنتهم ، وأنهم سيبدلون كل ما في وسعهم لترويج مداهنتهم ولو بكثرة الحلف ، وفرق بين المداهنة في الدين ، والملاطفة في الدنيا أو التعاون وتبادل المنافع الدنيوية ، كما قدمنا عند قوله تعالى : { لَا يَنْذِرُكُمُ اللَّهُ عَنْ الذِّينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ } ، والله تعالى أعلم . قوله تعالى : { أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مِّثْقَلُ ذَرَّةٍ } . هذا استفهام إنكاري يدل على أنه لم يسألهم أجراً على دعوته إياهم . وقال تعالى : { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الَّذِي مَوَدَّةً فِي الْقُرْبَى } فالأجر المسؤول المستفهم عنه هو الأجر المادي بالمال ونحوه . .

وقد تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه مبحث الأجر على الدعوة من جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ومبحث أخذ الأجرة على الأعمال التي أصلها مزية الله بحثاً وافياً عند قوله تعالى { وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا لِأَعْلَى اللَّهِ } من سورة هود . قوله تعالى : { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ } . لم يبين هنا من هو صاحب الحوت ، ولا نداه وهو مكظوم ، ولا الوجه المنهي عنه أن يكون مثله ، وقد بين تعالى صاحب الحوت في الصافات في قوله تعالى : { وَإِنَّ يُونُسَ